لم يعهد علماء الانثروبولوجيا في القرن التاسع عشر ولا النصف الأول من القرن العشرين (بشكل عام) دراسة الناس المنتمين الى ثقافتهم وموطنهم وانما السفر والانتقال الى سكان المناطق البعيدة والنائية والبدائية والمتباينة عنهم كثيراً في ادواتها التكنولوجية وانساقها الاقتصادية ونظمها السياسية وروابط القرابة وقواعد الزواج...كما هو الحال في سكان جزر الاندمان والتروبرياند والأسكيمو والشيلوك والدنكا...وكان الدافع الأساس اكتشاف اكبر قدر ممكن من السلوكيات والفعاليات والطقوس والرموز التي تميز حياة تلك القبائل والثقافات، وقد اختلف الامر كثيرا عندما تعامل الباحثين او تشكلت اهتمامات أنثروبولوجية راسخة عن موضوعات التنشئة الاجتماعية والتطبيع الثقافي للأطفال ونقل المعرفة والنقل الثقافي على وجه الخصوص في بيئات ثقافية مختلفة عن تلك التوجهات الاولية، ضمن السياق التاريخي لتطور العلم اكاديمياً، لاسيما في النصف الثاني من القرن العشرين، اذ تركز الحساب الإثنوغرافي للبحوث على المدارس والبيئات التعليمية، والذي تم تصنيفه على نطاق واسع بأنه الموطن الجديد للباحث الانثروبولوجي (at home) في حقل التربية، أي تعامل الباحث الانثروبولوجي التربوي المعاصر مع نماذج التعليم في ثقافته ومجتمعه إثنوغرافيا، بوصف ان تلك البيئات هي الملائمة للدراسة، فانتقل مجال البحث من الانسان البدائي الى المعاصر، وباتت الثقافات المعاصرة مجالا لإثنوغرافيا التعليم التي جعلت المدرسة الرسمية وتعليم الطفل فيها الموطن الجديد الذي افتقرت اليه الثقافات البدائية في ذلك الوقت.

وكان من الموضوعات الرئيسة ايضاً خلال هذا التحول في الموطن، مشاكل التغير الاجتماعي والانتقال من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي/التكنولوجي بالمدينة العاصمة كالشكل السائد للحياة المجتمعية، وقد اجرى علماء الانثروبولوجيا دراسات وبحوث عديدة مثل دراسة(BS. Bloom)عن اهمية التعليم في التعويض عن الحرمان الثقافي عام 1965؛ ودراسة الاستاذة(E. Eddy) عن السير على الخط الأبيض: لمحة عن التعليم في المناطق الحضرية عام 1967؛ وكتاب كل من الأستاذ (Havighurst & Levine) عن التعليم في المناطق الحضرية عام 1971؛ ودراسة الاستاذ (AJ. Reiss) عن المدارس في مجتمع متغير عام 1965؛ وتوجه دراسة الاستاذ (P. Schrag) نحو مدرسة القرية: السياسات والتعليم عام 1967؛ فضلا عن دراسات الاستاذ (G. Spindler) عن التربية والانثروبولوجيا عام 1955، والتحول في الثقافة الامريكية عام 1959. وقد تم تبادل هذه الأنواع من التوجهات البحثية على نطاق واسع في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية الاخرى، باتباع الطريقة الإثنوغرافية، التي ترتبط تقليديا بالأنثروبولوجيا، اذ اتخذت بشكل متزايد كوسيلة من وسائل البحوث الأكثر فعالية كدليل او شاهد عياني، ومثال ذلك، الاعمال التي قدمتها مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع للبيئة الحضرية. وقد ضاعفت البحوث الإثنوغرافية الانجذاب نحو البحوث النوعية والرؤى التي تركز على الطفل بشكل خاص، في حين انشغلت الحقول التقليدية في البحوث المعنية عادة بالقياسات الكمية.

واستمر تاريخ ونطاق هذا الحقل من البحث بشكل جيد إلى حد ما في موطنه الجديد، وقد توثق بدراسات عديدة مثل دراسة الاستاذ(J. ED, Banks) عن التربية المتعددة الثقافات: والتطور التاريخي، والأبعاد والممارسة عام 1993؛ ودراسة الأستاذ(JH. Burnett) عن الأنثروبولوجيا والتربية: دليل ببليوغرافي معزز بالشروحات عام 1974، وكتاب الأستاذ(AD. Fisher)عن الأنثروبولوجيا والتربية في كندا، في السنوات الأولى 1850-1970 عام 1998، والكتاب الذي عمل على اعداده (L. Heshusius) عام 1996 من الوضعية إلى التأويلية وما بعده: حكايات التحول في التربية والبحوث الاجتماعية، ؛ ومرة أخرى الأستاذ(G. Spindler) الذي اصدر كتابين الأول عن إعادة النظر في جذور التربية عام 1984: والثاني خمسون عاما من الأنثروبولوجيا والتربية 1950-2000، والكتاب الذي عمل على تحريره الاستاذ(Wax) عام 1971 الذي يوضح وجهات النظر الأنثروبولوجية للتربية. وكتاب الاستاذ(Wilcox)عن الإثنوغرافيا بوصفها المنهجية وتطبيقاتها في دراسة التعليم عام 1983. والواضح من هذه الدراسات انها قد اندفعت إلى الخلف وإلى الأمام لإنشاء أنواع الأسئلة التي لا تزال تشغل علماء الانثروبولوجيا واثنوغرافيات التربية والتعليم عند التحول من المجال التقليدي الى هذا المجال الجديد. وقد تضمنت هذه المدة(نصف قرن او اكثر بقليل)مناقشات للموضوعات الرئيسة والمساهمات البحثية في هذا المجال الناشئ الذي يعرض ارتباط الانثروبولوجيا والتربية في امتداد تاريخي تكلل بصفحات مشرقة معنية بالتربية والتعلم، والتي تعد من الاهتمامات الرئيسة في هذا المجال، بما فيها من اجتماعات، ومشاريع بحثية ضمن هذه المدة. أي تميزت سنوات التحول نحو الموطن الجديد والعقود التي تلتها، تلك المعتقدات الخاصة بالوصاف او ما يعرف بالاثنوغرافي كمراقب غير منحاز لجهة ما وموضوعي (Yon 2003: p418)**.** وعلاوة على ذلك، قد اظهر هذا الموطن، تزايد بحوث إثنوغرافيا التعليم الذي له علاقة بجاذبية ونجاح الإثنوغرافيا ليس فقط بوصفها العملية والثمرة التي تجسد الشيء الجديد والقراءة الممتعة ولكن أيضا كأسلوب يدعى في أن يأخذ القارئ الى العالم الفعلي للموضوعات من أجل الكشف عن المعرفة الثقافية التي تعمل في مكان معين، كما أنه يمثل الواقع الذي يعايشه الفاعلين (Britzman 1995: p133).

وقد دفع هذا الانتقال للباحث الأنثروبولوجي نحو استفادة المعلمين والتربويين من الاحاطة بالمناهج الأنثروبولوجية في نواح كثيرة. فإتقان أدواته المنهجية، مثل الملاحظة والمشاركة والمقابلة والإقامة في جمع وجهات نظر المتعددة عن المدرسة وبيئتها، فضلا عن ذلك يمكن أن تكون مفيدة لهم من أجل تطوير وتحقيق عملية صنع القرار الأكثر شمولية. وعلى العموم اتجه تركيز منهج انثروبولوجيا التربية في موطنها الجديد، دراسة العمليات الموازية للتعليم والتعلم وكيف تم اكتسبها من الناس أثناء طفولتهم (وما بعدها) والاخذ بها كمسلمات للمعرفة الثقافية. اذ ساعد هذا التحول في الموطن الى ربط الثقافة بالتعليم والتعلم وتحو توضيح العديد من القضايا، مثل كيفية قيام النظم والمؤسسات التعليمية بتعميق الهويات الدينية والوطنية، وكيف يبدو التعليم عاملا قسرياً محدداً للثقافة.

تميل معاينة أنثروبولوجيا التربية إلى الفروق الحقيقية لا اختلاف المعايير الثقافية، مما يجبرنا على التفكير في إمكانية امتلاكنا نحن البشر مدونة او كود سلوكي ليس الوحيد فقط ولا الأفضل، للطرق التي تعمل بها الأشياء. وعلاوة على ذلك، تجبرنا التجربة الأنثروبولوجية على إعادة النظر في الأساس المنطقي، والأسس الثقافية، وعملية نقل الثقافة بأكملها. وقد عدت هذه النقطة الأخيرة ذات أهمية جوهرية للمعلمين والتربويين لان التربية ليست نقية ومفصولة عن نقل المعرفة في المجتمع؛ على قدم المساواة، وحتما لنقل الثقافة.

يعكس اصطلاح في حدود الوطن (at home) إضفاء هذا الطابع المؤسسي لاتجاهات وتوجهات بعيدةً عن الانشغال التاريخي للأنثروبولوجيا الغربية التي تعاملت مع الغرباء عن ثقافتهم(البدائيين) والاتجاه نحو القيام بالعمل الميداني في حدود الوطن. وقد تزامن هذا التحرك مع التركيز النظري المتزايد في مجال العلوم الاجتماعية على الروابط التي تربط بين التكامل الجغرافي والاجتماعي، والاقتصادي، وكذلك التمييز او العزل(الرسي، الطبقي، الاثني). اذ ان خبرات الحراك الاجتماعي العالي والاضطراب والتغير الديمغرافي الهائل المرتبط بتنمية المدينة والضاحية في حقبة ما بعد الحرب هي التي تمثل أيضا إطاراً اكاديمياً لهذا المجال المتطور من البحث.

وقد ركز اثنوغرافيو الولايات المتحدة ضمن مفهوم في حدود الوطن، ليس فقط على موضوعات زيادة الهجرة وضرورات استيعاب–مفهوم البوتقة او الذوبان في الثقافة الاكبر (the melting pot)– ولكن أيضا على تحركات عدد السكان داخل الولايات المتحدة، مثل تحرك الأميركيين الأفارقة إلى المدن الشمالية، فضلا عن الهجرات السكان الكبيرة من بورتوريكو، وجنوب اﻷباﻻش إلى المدن حيث أنها جاءت مجتمعة لتشكيل الفقراء في المناطق الحضرية والمجموعات المهيمنة في المدارس الذي سبق الإشارة اليه في دراسات كل من(Bloom, Eddy, Havighurst & Levine, Schrag) فضلا عن دراسة (R. Landes) عن الثقافة في التربية الامريكية: مقاربات أنثروبولوجية لمفهوم الأقلية عام 1965، ودراسة (EB. Leacock) عن التعليم والتعلم في مدارس المدينة: دراسة مقارنة عام 1969، ودراسة كل من (Smith & Geoffrey)عن تعقيدات الفصول الدراسية في المناطق الحضرية عام 1968**.** وعقب ظهور التعددية الثقافية، استرعى انتباه متزايد إلى فشل المدارس في الاستجابة للاختلافات الثقافية واللغوية والمعرفية؛ وإلى رموز لغوية مختلفة؛ وإلى مجال دلالي اثني حيث تم وصفها بالمحافظة على الحدود الاجتماعية، وتم تعززها بالمناهج المدرسية كما هو الحال في دراسة الاستاذ (DC. Clement) التمظهر بالوئام: العلاقات السوسيو-رسية في المدارس الجنوبية المدمجة(الغاء التمييز او الفصل العنصري) في أمريكيا عام 1979، ودراسة الاستاذ (R. Everhart) ودراسة الأستاذ (DH. Hymes) عن إعادة اختراع الانثروبولوجيا عام 1972...

ويمكن الاستشهاد بما قدمه الاستاذ (P. Jackson) في دراسته للحياة في الفصول الدراسية عملاً ابداعياً في بلورة الروابط المجتمعية والمدرسية وإنشاء المدرسة كنموذج مصغر للمجتمع الذي تخدمه(أي البحث في حدود الوطن). اذ تشكل الفصول الدراسية كبيئة مستقرة وموحدة تتسم بأنشطة اعتيادية ودورية مكثفة، وقد أثبتت (P. Jackson) أهمية الملاحظة المشاركة للباحثين في مجال التربية. وأشار إلى الانفصالات بين نظريات وممارسات التعليم والتعلم. ولاحظ أدوار المعلم المتعددة كالحارس، والرقيب الممون، وناظما للوقت، وان هذه الميزات هي غير المشهورة لطابع الحياة المدرسية. كما شدد على قيمة دراسة الخصائص الغالبة للتبادل التعليمي وتصميم المناهج الدراسية. وعلى الرغم من تصور الكثير من وجهة نظره من خلال عدسة الفهم المعياري للثقافة، فانه قد أشار الى صورة معقدة بلا حدود للتكيف داخل البيئة المدرسية، بما في ذلك الانسحاب من جانب المشاركين في المدرسة (Jackson 1968: pp4-6).

ويضيف (P. Jackson) انه ربما الأكثر أهمية للتوجهات المستقبلية في حقل اثنوغرافيا المدرسة هو إصرار علماء انثروبولوجيا التربية على الطريقة الإثنوغرافية التي تدفع الانتباه إلى الأشياء التي تأتي وتذهب مثل تثاؤب الطلاب أو عبوس المعلمين، والنظر إلى أن مثل هذه السلوكيات او الاحداث العابرة التي تحتوي على مزيد من المعلومات عن حياة الفصول الدراسية مما قد يبدو للوهلة الأولى هي المشاعر التي من شأنها أن يكون لها صدى في الدعوة إلى وصف مكثف وأهمية الإيماءات والغمزات في البحث التربوي كما هو الحال في الأنثروبولوجيا ككل(Jackson 1968: pp7-10).

في الواقع(والكلام للاستاذ Yon) قيل إن التقدير السليم للمجتمع أمر لا غنى عنه من اجل التقدير السليم للتربية وما ينبغي أن يعني في إشارة إلى ذلك. لكن الميول الوصفية والإصلاحية لإثنوغرافيا التعليم بدأت تضغط على الوظائف المتصورة للتعليم في المدارس. وقد ناقش الاستاذ (JR. Seeley) ذلك عند دراسة النوع البشري بوصفه حقيقةً من خلال الايمان: في تربية وفكرة النوع البشري، بالقول (أنه بالرغم من أن المدرسة قد صكها المجتمع وان غرضها ليس لتمثيله كما هو وانما من اجل التذكير فيما ينبغي أن يكون عليه)Yon 2003: p415 . اذاً تعاملت إثنوغرافيا المدرسة مع جميع الزوايا المذكورة أعلاه والأطر المرجعية من خلال دراسة العملية التربوية لكل من المجتمع والثقافة، وكذلك من وجهة نظر الجماعات الاثنية والأقليات، فضلا عن الاهتمام مماثل لمنظور عبر الثقافات. وقد حققت أنثروبولوجيا التربية عدد من المسائل مثل وظيفة التنشئة الاجتماعية للتعليم المدرسي، وانتقال الثقافة من كبار السن للجيل الأصغر سنا ضمن العملية التربوية، ودور الاعتداد او التمركز الاثني (ethnocentrism) في توالد التفاوتات والإمكانيات لمفهوم النسبية الثقافية في المدارس. ويمكن أن نضيف أيضا أن المفاهيم المذكورة أعلاه تشكل مراجع مفيدة للتربويين وتسعى إلى معالجة مسائل تتعلق بالتمييز الرسي، والديني والأخلاقي، ويمكن أن تساعد المناهج الأنثروبولوجية لكل من الطلاب والمعلمين على تطوير علاقات إيجابية وخصبة حتى بين الجماعات نفسها intergroup. وان التحول في البحث نحو الوطن يجب أن يكون متصلاً بحقيقة أن الأنثروبولوجيا ككل أصبحت ذات اهتماما متزايداً في الغرب وفي المؤسسات الحديثة السائدة في أواخر القرن العشرين. وكان ينظر إلى التربية كجزء لا يتجزأ من هذا التحول في التركيز. وشهد ذلك الوقت أيضا مؤشراً على نحو متزايد للنظرية والممارسة الأنثروبولوجية عند ارتباطها بتوافر التمويل الحكومي للفقر والبحوث المرتبطة بإلغاء التمييز الاثني والى عوامل التكامل الرامية إلى التكيف والتعديل، والتطبيع الثقافي، والاستيعاب، والتنشئة الاجتماعية للأقليات والمهمشين في الثقافات المهيمنة.